﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾ [الصّف: 7]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بعدَ التَّكذيبِ والهُجران يأتي التَّهديدُ والنُّكران

لمّا ذكرَ النَّظمُ الكريمُ إيذاءَ الأقوامِ السّابقةِ لأنبيائهم، وأدمجَ تكذيبَ المُشركين من أهلِ مكَّة وأهلِ الكتاب للنَّبيِّ ﷺ لمّا جاءَهم بالبيِّنات والآياتِ الواضحات، شأنُهُ في ذلك شأنُ أولئك الأنبياءِ والرُّسُل الكرام؛ ناسبَ أنْ يذكر التَّهديدَ لأولئكَ المُكذِّبين، من خلالِ الإنكارِ والتَّعجُّبِ من شدَّةِ ظُلمِهم واستكبارِهم على الحقِّ البيِّن والمُعجزات الظّاهرات، قالَ ابنُ عاشور: "كانَت دَعوةُ النَّبيِّ ﷺ مُماثِلَةً دَعوةَ عيسَى عليه السلام، وكانَ جَوابُ الَّذينَ دَعاهُم إلَى الإسلام مِن أهلِ الكِتابَينِ والمُشْركينَ مُماثِلًا لِجَوابِ الَّذينَ دَعاهُم عليه السلام، فَلَمّا أدْمَجَ في حِكايَةِ دَعوةِ عيسَى بِشارَتَهُ بِرَسولٍ يَأتي مِن بَعدِهِ؛ ناسَبَ أن يَنقُلَ الكَلامَ إلَى ما قابَلَ به قَوْمُ الرَّسولِ المَوْعود دَعْوةَ رسولِهم، فَلِذَلِكَ ذُكِرَ في دَعوةِ هَذا الرَّسولِ (دينُ الإسلام)، فَوُصِفوا بِأنَّهُم أظلَمُ النّاسِ تَشنيعًا لِحالِهِم"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱفْتَرَىٰ﴾: من (فري)، وهو أصل واحد يدلُّ على قَطْعٍ معَ تقديرٍ، والافتراءُ: افتعالٌ، ويدلُّ على اختيارِ الفعلِ وقصدِهِ، سواءٌ كان في صلاحٍ أو فسادٍ، وفي كذبٍ أو صدقٍ[2]، وفَرَى يَفْري فلانٌ الكَذِبَ؛ إذا اختلقَهُ، والفِريةُ: الكَذِبُ والقذف[3]، والمرادُ به في الآيةِ:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 187.
(2) المصطفويّ، التّحقيق في الكلمات القرآنيّة: 9/ 70.
(3) الخليل، العين: (فري).

نسبة الكذِب إلى اللّه تعالى، واختلقَوهُ عليه، وتعمَّدوا الكذبَ بقولِهم: إنَّ التوراة لم تُبشِّرْ بنبوَّةِ محمد ﷺ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مِن أشنعِ صورِ الافتراء التَّكذيبُ لِما فيه النَّجاء

والمرادُ: "أيُّ النّاس أشدُّ ظُلمًا ممَّن يُدْعَى إلى الإسلامِ الذي يوصِلُهُ إلى سَعادةِ الدّارَين، فتكونُ استجابتُه الافتراءَ والاختلاقَ على اللّه بتكذيبِ رسولِه، وتسميةِ آياتِه سِحرًا، فهو أظلمُ مِن كلِّ ظالمٍ، واللّهُ لا يوفِّقُ الظّالمين إلى ما فيه فلاحُهُم؛ لسوءِ استعدادِهم وعدمِ توجُّهِهم إليه"[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ (الواو) في ﴿وَمَنْ﴾:

إظهارُ أشنعِ الظُّلم بتركِ البِشارات والحُكْم

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بـ(الواو)، في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾؛ للدَّلالة على الاستئناف؛ إظهارًا لأبشعِ صورِ الظُّلم بعد بيانِ أفعالِ المُكذِّبين والظّالمينَ منَ الأُمَمِ السّابقة، فقد ظلمَ قومُ موسى نبيَّهُم بزيغِهم، وظلمَ بنو إسرائيلَ عيسى نبيَّهُم بتكذيبِهم واتِّهامِهم، فأرادَ النَّظمُ الكريمُ بيانَ شدَّةِ ظُلْمِ المُكذِّبين بدعوةِ الإسلام من المشركينَ عمومًا وأهلِ الكتاب خُصوصًا، قال الطِّيبيُّ: "وفي إيقاعِ ﴿ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ مُقابلًا لـ(افتراء الكذب) إيذانٌ باتِّصالِها بقصَّةِ محمَّد صلواتُ اللّه عليه وسلامه، وأنَّ ذِكرَ ﴿ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ كالتَّخلُّصِ من القصَّةِ إلى القصَّة"[2]، في حينِ قالَ القاسميُّ: "وهذه الآيةُ إمّا مستأنِفةٌ رسالةَ النَّبيِّ ﷺ، طليعةٌ للآياتِ بعدَها، وإمّا متمِّمةٌ لما قبلَها؛ لتقبيحِ ما بهتَ به الإسرائيليّون عيسى ﷺ، معَ الإشارة بعمومِها إلى ذَمِّ كلِّ مَن كانَ على شاكلتِهم، ولا يقالُ ﴿ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ يؤيِّدُ الأوَّل؛ لأنَّه عنوانُ الملَّةِ الحنيفيَّة؛ لأنَّه قد يرادُ به معناهُ اللُّغويُّ، وقد كثُرَ ذلك في

(1) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 1401.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 15/ 389.

آياتٍ شتَّى، نعَم الأقربُ الأوَّلُ، واحتمالُ مثلِ الآيةِ لهذينِ الوجهينِ مِن بدائعِ التَّنزيل"[1]، ورجَّحَ ابنُ عاشور قائلا: "فالمُرادُ مِن هَذا الاستِفهامِ هُمُ الَّذينَ كَذَّبوا النَّبيَّ ﷺ، ولِذَلِكَ عُطِفَ هَذا الكَلامُ بِـ(الواوِ) دونَ (الفاءِ)؛ لأنَّهُ لَيسَ مُفَرَّعًا على دَعوةِ عيسَى عليه السلام"[2].

دلالةُ اسمِ الاستفهام (مَن):

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ باسمِ الاستفهام (مَن)، في قولِه تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾؛ للدَّلالة على الإنكارِ لوُجودِ ظُلمٍ أعظمَ من هذا الظُّلْم، قال الهرريُّ: "والاستفهامُ فيه للإنكار، أي: وأيُّ النّاسِ منَ المفترينَ أشدُّ ظُلمًا وأكثرُ جُرمًا ممَّنِ اختلقَ على اللّه الكذبَ"[3]، معَ ما فيه منَ التَّعجيبِ ممّا يفعلونَهُ من افتراءٍ حينَ دعوتِهم إلى الإسلام، وقالَ ابنُ عادل: "وهذا تعجُّبٌ ممَّن كفرَ بعيسى ومحمَّد ﷺ بعدَ المُعجزاتِ الَّتي ظهَرَتْ لهُما"[4]، والمعنى: لا يوجَدُ أظلمُ من ذلك، ويؤولُ إلى: هو أظلمُ من كلِّ ظُلْم، قال ابن عاشور: "والاستِفهامُ بِـ (مَنْ أَظْلَمُ) إنكارٌ، أي: لا أحَدَ أظْلَمُ مِن هَؤُلاءِ، فالمُكَذِّبونَ مِن قَبلِهِم إمّا أن يَكونوا أظلَمَ مِنهُم، وإمّا أن يُساووهُم، على كُلِّ حالٍ فالكَلامُ مُبالَغَةٌ"[5]، ولا يخفى أنَّ التَّعبير بالإنكارِ لوجودِ ظُلْم أشنعَ من هذا، فالاستفهام يدلُّ على التَّفخيم لذلك الأمرِ المُنكَر، والتَّحيُّرِ في مَعرفةِ سببِهِ، والجهالةِ بحالِه ادِّعاءً، حتّى إنَّ ذلك الأمرَ المنكَرَ من شدَّةِ غرابتِه يُستفهَمُ عن سببِه، مع أنَّه معلومٌ؛ ولذا توجَّهَ إليه الإنكارُ.

التَّعبيرُ عن الإنكارِ بالاستفهام ادِّعاءً لغرابتِه على الأفهام

دلالةُ اسمِ التَّفضيل ﴿أَظْلَمُ﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ باسمِ التَّفضيلِ، في قولِه تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾؛ للدَّلالةِ على

الاتِّصافُ بالأظلميَّةِ عندَ اقترانِ الافتراءِ بالدَّعوةِ الإسلاميَّة

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 9/ 223.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 188.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 29/ 257.
(4) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 19/ 55.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 188.

اتِّصاف المُفتري الكذبَ - حالَ دعوتِه للإسلامِ - بالظُّلم وزيادة على غيره، فهنالك ظالمٌ يَفتري على الله الكذبَ، وهنالك أظلمُ منه عندما يقترنُ افتراؤُهُ الظُّلمَ بالدَّعوة إلى الإسلام، فيكونُ اختيارُ اسمِ التَّفضيل مُناسبًا لسياقِ النَّظم من حصولِ الافتراءِ مُقترِنًا بالدَّعوة إلى الإسلامِ.

دلالةُ (مِن) في ﴿مِمَّنِ﴾:

التَّقريبُ لـلأذهان بالابتداءِ والبَيان

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بـ(مِن) الجارَّةِ للمُفضَّلِ عليه، في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾؛ للدَّلالةِ على الابتداءِ أوِ البيان، فكأنَّ الَّذين يفترونَ على الله الكذبَ منبعٌ لأشنعِ صورِ الظُّلم، أو أنَّها بيانٌ للإبهامِ والعُموم في (مَن) الاستفهاميَّةِ؛ بأنَّ مَن صدرَ منه ذلك هو الأشنعُ ظُلمًا مِن غيره.

دلالةُ المَوصول (مَن) في ﴿مِمَّنِ﴾:

التَّعبيرُ بالموصول تعليلٌ للإنكارِ المَذكور

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بالاسمِ الموصول، في قولِه تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾؛ للدَّلالة على العمومِ الشّامل لكلِّ مَنِ اتَّصفَ بالافتراء والكذبِ على الله تعالى، قال ابن عاشور: "وقد شَملَ هذا التَّشْنيعُ جَميعَ الَّذينَ كَذَّبوا دَعوة النَّبيِّ ﷺ مِن أهلِ الكِتابَينِ والمُشركينَ، والمَقصودُ الأوَّلُ هُم أهلُ الكِتابِ"[1]، وإنَّما عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بالموصول لدلالةِ الصِّلة على علَّةِ الاتِّصاف بالأظلميَّة، فتكونُ الصِّلةُ كاشفةً عن سرِّ الإنكارِ لوجودِ أظلمَ من ذلك، و(مِن) الجارَّةُ وإنْ دخلتْ على المفضَّلِ عليه، إلّا أنَّها في سياقِ النَّفي أفادتْ أنَّ مَنِ اتَّصفَ بذلك أظلمُ من كلِّ ظالم، والتَّقدير: لا يوجَدُ أظلمُ مِن ذلك.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿ٱفْتَرَىٰ﴾ مادَّةً وصيغةً:

الكذبُ المُتعمَّد افتراءٌ بِلا امتِراء

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بالفعلِ الماضي، في قولِه تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 188.

﴿مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾؛ للدَّلالة على حُصول الافتراءِ ووُقوعِه منهم على سبيلِ القَطْع والتَّحقُّق، وتدلُّ مادَّةُ (الافتراء) على الاختلاقِ والنِّسبةِ لغيرِ مَن هو له على سبيلِ الشِّدَّةِ والقوَّة؛ لأنَّها مأخوذةٌ من فَرْيِ الكلامِ بمعنى إحكامِه وإتقانِه، فيكونُ اختلاقُ الكذبِ ونسبتُه إلى اللَّه تعالى بكلِّ تصميمٍ وقوَّةٍ.

دلالةُ حرفِ الجرِّ ﴿عَلَى﴾:

الاستخفافُ والاستكبار بجَعْلِ افترائِهم فوقَ كلامِ الجبّار

استعملَ النَّظمُ الكريمُ حرفَ الجرِّ ﴿عَلَى﴾، في قولِه تعالى: ﴿مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾؛ للدَّلالة على الاستعلاءِ المجازيِّ؛ إذ الكلامُ لا يَعلو الكلامَ، ولإفادةِ أنَّ تقوُّلهم الكذبَ على اللَّه تقوُّلٌ عظيمٌ، حتّى كأنَّه صارَ افتراؤُهم الكذبَ فوقَ خبرِه وكلامِه الحقِّ المتعلِّق ببشاراتِ أحمدَ ﷺ، فهنالك مضافٌ محذوفٌ تقديره: افترى على كلامِ اللَّه الكذبَ، بأنِ اختلقَ الكذبَ على كلامِه وبشاراتِه، ونسبَها إلى غيرِ النَّبيِّ الكريم ﷺ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالاسمِ الجليل:

الكذبُ على اللَّه ورسُلِه كبيرٌ حجمُ وبالِه

عبَّر النَّظمُ الكريمُ بالاسمِ الجليل في قولِه تعالى: ﴿مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾؛ للدَّلالة على الاستشناعِ والتَّفظيع؛ فإنَّ الافتراءَ في حدِّ ذاتِه مَعيبٌ وظُلمٌ كبيرٌ، فإنْ كان على اللَّه تعالى؛ فإنَّه أعلى درجاتِ الظُّلْمِ والبُهتان؛ لأنَّ اسم الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ مصدرُ كلِّ حقٍّ وحقيقةٍ؛ إذ هو دالٌّ على الذّاتِ الكاملةِ في الفَضائل والكَمالات، فتكونُ نسبةُ الكذبِ إليه وإلى كلامِه وأنبيائه ظُلمًا شديدًا.

دلالةُ المجازِ العقليِّ:

نسبةُ الكذبِ للمُسبَّب نسبةٌ له في الحقيقةِ للسَّبب

علَّقَ النَّظمُ الكريمُ افتراءَ الكذبِ بالجارِّ والمجرور ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾، في قولِه تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾، مع أنَّهم نَسَبوا الكذبَ إلى رُسُلِه وأنبيائه، فاتَّهموهم عندما جاؤوا بالبيِّنات بالسِّحر المُبين؛ للدَّلالةِ على أنَّ نسبةَ الكذبِ لأنبياءِ اللَّه نسبتُهُ في

الحقيقة لمُرسِلِ أولئك الأنبياءِ، الذينَ منحَهُم خوارقَ العادات؛ لِكَي يُؤمنوا بهم وبكلامِهم، ولذا قال ابنُ عاشور: "وإنَّما جُعِلَ افتراؤُهُمُ الكَذِبَ على اللهِ؛ لأنَّهُم كَذَّبوا رَسولًا يُخبِرُهُم أنَّهُ مُرسَلٌ مِنَ اللهِ، فَكانَت حُرمَةُ هَذِه النِّسبَةِ تَقتَضي أن يُقبِلوا على التَّأمُّلِ والتَّدَبُّرِ فيما دَعاهُم إلَيهِ؛ ليَصِلوا إلَى التَّصديقِ، فَلَمّا بادَروها بِالإعراضِ، وانتَحَلوا لِلدّاعي صفاتِ النَّقْصِ؛ كانوا قَد نَسَبوا ذَلِكَ إلَى اللهِ دونَ تَوْقيرٍ"[1].

دلالةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ على ﴿ٱلۡكَذِبَ﴾:

قدَّم النَّظمُ الكريمُ الجارَّ والمجرور على المفعولِ به ﴿ٱلۡكَذِبَ﴾، في قولِه تعالى: ﴿مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾؛ للدَّلالة على الاهتمام بالتَّصريح بالمكذوبِ عليه؛ ليكونَ بمنزلة الحُجَّة القاطعة، على أنَّ الَّذي يُقدِمُ على ذلك؛ فإنَّه يكون أظلمَ الظّالمين وأشنعَ المُتجرِّئينَ.

تقديمُ المهتمِّ به تشنيعٌ على ما أقدَموا عليهِ

دلالةُ التَّعريفِ في ﴿ٱلۡكَذِبَ﴾:

عرَّفَ النَّظمُ الكريمُ ﴿ٱلۡكَذِبَ﴾، في قولِه تعالى: ﴿ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ الَّذي اختلقوهُ، ونَسبوهُ إلى اللهِ تعالى هو الحقيقةُ الشَّنيعةُ والماهيَّةُ الكريهةُ المعروفة، فتكونُ (أل) فيه للجنس؛ دلالةً على استعظامِ ما نَسبوه وكراهةِ ما قالوهُ، ولعلَّ المرادَ بافتراءِ الكذبِ ونسبتِه إلى اللهِ تعالى في السّياقِ ما يخصُّ اليهودَ، ومَن تَبِعَهم من أهل الكتابِ منَ النَّصارى، فتكون (أل) فيه للعهد، قال الهرريُّ: "وقالَهُ بتعريفِ ﴿ٱلۡكَذِبَ﴾؛ إشارةً إلى قولِ اليهود: ﴿هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾، فاللّامُ في ﴿ٱلۡكَذِبَ﴾ للعهد، أي: لا أحدَ منَ المُفترينَ أظلمُ منه، ومنَ الافتراءِ على اللهِ الكذبُ في دَعوى النَّسب، والكذبِ في الرُّؤيا، والكذبِ في الإخبارِ عن رسول اللهِ ﷺ"[2]، فقد

الـكـذبُ أسـاسُ كـلِّ شـنـاعـة، فهو مَكروهٌ بكلِّ قناعة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 188.

(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 29/ 257.

جاءَ وصفُ النَّبيِّ ﷺ في كُتُبهم وعلى لسانِ رُسُلهم، فنَسبوا الكذبَ إلى اللّه تعالى من خلالِ تكذيبِهم لِما جاءَ في كُتُبه تعالى، المُنبئةِ عنِ اسمِه الشَّريف ووصفِه المُنيف ﷺ.

مَعنى (الواو) ودلالتُها في ﴿وَهُوَ﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بـ(الواو)، في قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ﴾؛ للدَّلالة على الحال، فتكونُ جملتُها مُقيَّدةً لافتراءِ الكذبِ على اللّه تعالى؛ بيانًا لشِدَّةِ ذلك الكذبِ المُمازِج وقتَ الدَّعوة إلى الخيرِ المَحْض، فهذا الصِّنفُ من المُكذِّبين أظلمُ من كلِّ الظّالمين؛ فإنَّهم يَنسِبونَ الكذبَ إلى اللّه تعالى ورُسُلِه وكُتُبِه حينَ دَعوتِهم إلى ما فيه خيرُهُم ومَنفعتُهُم، قال ابنُ عاشور: "وقَد كانَ لِجُملَةِ الحالِ: ﴿وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ﴾ مَوْقِعٌ مَتينٌ هُنا، أي: فَعَلوا ذَلِكَ في حين أنَّ الرَّسولَ يدعوهُم إلَى ما فيه خَيرُهُم، فَعاضوا الشُّكرَ بِالكُفرِ"[1].

وقتُ الدَّعوةِ إلى الخيرِ العميمِ يظهَرُ عندَهُم الافتراءُ العظيم

دلالةُ تقديمِ المُسنَدِ إليه (هو):

قدَّمَ النَّظمُ الكريمُ المسندَ إليه في الجملةِ الحاليَّة، من قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ﴾؛ للدَّلالةِ على التَّخصيصِ والانحصار بحالةِ الدُّعاء إلى الصِّدقِ والفضيلة، مع تقويةِ الحُكم وتأكيدِه؛ إظهارًا لشِدَّةِ الجُحود الصّادرِ من هذا الظّالم، الذي انحصرَتْ، واختصَّتِ الدَّعوة به، ومع ذلك يَفتري الكذبَ، وينسِبُه إلى اللّه تعالى صدودًا عنه.

مِن شِدَّةِ الجُحودِ رفضُ الحقِّ معَ الصُّدود

دلالةُ الفعلِ المضارعِ المَجهول ﴿يُدۡعَىٰٓ﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بالفعلِ المضارعِ المبنيِّ للمفعولِ، في قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ﴾؛ للدَّلالةِ على التَّجدُّدِ الاستمراريِّ للدُّعاءِ له، وتجدُّدُ الدُّعاء له دالٌّ على تجدُّدِ افترائِه؛ لكونِ الدُّعاء

تجدُّدُ الدَّعوةِ مُصاحِبٌ لتجدُّدِ الافتراءِ والكِذبة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 188.

واقعًا في الجملةِ الحاليَّة المقيِّدةِ لافترائِه، معَ عدمِ تعيينِ الدّاعي لكونه معلومًا، وليكونَ التَّركيزُ على فعلِ الدُّعاء الذي لم يُؤثِّرْ فيه.

دلالةُ الاستعارةِ في ﴿إِلَى﴾:

شـدَّةُ الحـرصِ والمُـتـابـعـة بـالإيـصـالِ إلى الحقِّ بلا مُنازَعة

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بحرفِ الجرِّ ﴿إِلَى﴾، في قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ غايةَ الدُّعاء الوصولُ بالمَدعوِّ إلى الإسلام؛ حرصًا عليه من التَّشتُّتِ والضَّياع، وأصلُ (إلى) للغايةِ المكانيَّة، فتكون (إلى) مُستعمَلَةً في الوصولِ المجازيِّ إلى ما ليس بمَكانٍ، أو شُبِّهَ الإسلامُ بمكانٍ يوصَلُ إليه، ثمَّ حُذِفَ المشبَّهُ به، وكانت ﴿إِلَى﴾ دالَّةً على تلك الاستعارةِ المَكنيَّة.

دلالةُ التَّعريفِ في ﴿ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ﴾:

المدعوُّ للإسلامِ يَجمُلُ به الإقدامُ دونَ الافـتـراءِ واتِّباعِ الأوْهام

عرَّفَ النَّظمُ الكريمُ ﴿ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ﴾، في قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ﴾؛ للدَّلالة إمّا على العهد، وهو دينُ الإسلامِ الَّذي جاء به النَّبيُّ ﷺ بما يشتملُ عليه من عقائدَ وأحكامٍ وسلوكيّات، ولذا قال ابنُ كثير: "أي: لا أحَدَ أظْلَمُ مِمَّن يَفتَري الكَذِبَ على اللهِ، ويَجعَلُ لَهُ أندادًا وشُرَكاءَ، وهو يُدعَى إلى التَّوحيدِ والإخلاصِ"[1]، وإمّا للحقيقة والجنس، أي: الدَّعوة إلى هذه الحقيقةِ المعيَّنةِ بكونِها أصلَ كلِّ سَعادةٍ وخَير، ولا يبعُدُ أنَّ (أل) في ﴿ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ﴾؛ للدَّلالة على العَلَميَّة الغالبةِ، مثل: (قرأتُ الكتاب)، أي: كتابَ سيبويهِ، ولذا قال ابنُ عاشور: "واسمُ ﴿ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ﴾ علمٌ للدّينِ الَّذي جاءَ بِه النَّبيُّ ﷺ، وهو جامِعٌ لِما فيه خَيرُ الدُّنيا والآخِرَةِ، فَكانَ ذِكرُ هَذا الاسم في (الجُملَةِ الحاليَّةِ) زيادَةً في تَشنيعِ حالِ الَّذينَ أعرَضوا عَنهُ، أي: وهو يُدعَى إلَى ما فيه خَيْرُهُ، وبِذَلِكَ حَقَّ عليه وصْفُ ﴿أَظۡلَمُ﴾"[2].

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 111.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 189.

دلالةُ التَّقابُلِ:

الدَّعوةُ تُقابَلُ بالافتراء، والإسلامُ يُقابَلُ بالكذِب

قابلَ النَّظمُ الكريمُ بينَ المَدعوِّ والدّاعي، في قولِه تعالى: ﴿مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ﴾؛ إذ نجدُ بينَ ﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾ و﴿يُدۡعَىٰٓ﴾ تقابلًا ضِدّيًّا، وبينَ ﴿ٱلۡكَذِبَ﴾ و﴿ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ﴾ تقابُلًا ضِدّيًّا، فيكونُ الإسلامُ هو الصِّدقَ والحقَّ بدلالةِ التَّقابل، فبدلًا من أن يكون النَّظمُ: (وهويُدعى إلى الصِّدق)، استبدلَ النَّظمُ الكريمُ (الإسلامَ) به؛ ليكونَ أعمقَ تأثيرًا في تسميةِ الإسلامِ بالصِّدق والحقِّ، فكأنَّ الإسلامَ هو الصِّدقُ كلُّه، ولا يتحقَّقُ في غيره، واستبدالُ الصِّدقِ المقابلِ للكذبِ بـ(الإسلام) مقابلٌ لاستبدالِهم الإجابةَ والإذعانَ له بـ(افتراءِ الكذبِ) على اللّه تعالى، وذلك: "أنَّ الظُّلمَ وضْعُ الشَّيء في غيرِ مَوضعِه، فيَجعلُ إجابتَه افتراءَ الكذبِ على اللّه تعالى، يعني: كان جزاءُ الدّاعي القَبولَ والتَّصديقَ، فوضَعوا مَوضعَ التَّصديق والقَبول أنْ كذَّبوا، وسَمّوا ما جاءَ به سِحْرًا"[1].

معنى (الواو) ودلالتُها في ﴿وَٱللَّهُ﴾:

حِرمانُ الظّالمينَ منَ الاهتداء جزاءٌ على ما كانوا يُبدونَهُ من الافتراء

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بـ(الواو)، في قولِه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ للدَّلالة على الاستئناف، وهذه الجملةُ الاستئنافيةُ: "مُقرِّرةٌ لمضمونِ ما قبلَها، أي: واللّهُ لا يُرشِدُ الظّالمينَ لأنفسهم إلى ما فيه صلاحُهُم ورَشادُهم؛ لعدمِ توجُّههم إليه؛ لأنَّهم دسّوها باجتراح السَّيِّئات وارتكابِ الموبقات، فخَتمَ على قلوبهم، وجعلَ على أبصارهم غشاوةً"[2]، ومفيدةٌ جزاءَ اللّهِ تعالى لأولئك الظّالمين؛ بأنْ عاقبَهم بجنس عَمَلِهم، فقد كانوا يُسارعون إلى الافتراءِ على اللّه، ونسبةِ الكذب إلى أنبيائِه؛ رغبةً عن الاهتداء، وانزعاجًا من سَماع الدُّعاء للإسلامِ والحقِّ والصِّدق، فعاقبَهم اللّهُ تعالى بالحِرمان من

(1) القونويّ وابن التّمجيد على تفسير البيضاوي: 19/ 70.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 29/ 258.

الاهتداءِ، ومنعَهم من الوصولِ لعظيمِ الافتراءِ، فالجملة: "تَأييسٌ لهُم مِنَ الإقلاعِ عَن هذا الظُّلْمِ، أي: إنَّ الَّذينَ بَلَغوا هذا المَبْلَغَ مِنَ الظُّلْمِ لا طَمَعَ في صَلاحِهِم؛ لِتَمَكُّنِ الكُفْرِ مِنهُم حَتَّى خالَطَ سَجاياهُم، وهَذا يَعُمُّ المُخْبَرَ عَنهُم وأمثالَهُمُ الَّذينَ افتَرَوا على عيسَى، فَفيها مَعنى التَّذييلِ"[1].

دلالةُ تقديمِ المسندِ إليه (الله):

قدَّمَ النَّظمُ الكريمُ المسندَ إليه في قولِه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ للدَّلالةِ على الانحصارِ والاختصاص، فاللهُ وحدَهُ دونَ ما عداه لا يوصِلُ القومَ الظّالمين إلى الهداية، مع ما فيه مِن تقوية الحُكم وتحقيقِه؛ ردًّا على سوءِ افترائهم وشِدَّةِ ظُلمهم.

المبالغةُ في الافتراء تقتضي الرَّدَّ بعدمِ الإيصالِ والإهداء

دلالةُ النَّفي بـ﴿لَا﴾:

استعملَ النَّظمُ الكريمُ ﴿لَا﴾ النّافيةَ، في قولِه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ للدَّلالة على نفيِ الهداية عنهم في الحالِ والاستقبال؛ لأنَّهم كلَّما تجدَّدَتْ دعوتُهُم في الحالِ والاستقبالِ إلى الإسلامِ يصدرُ منهم نسبةُ الكذبِ إلى الله تعالى، وما جاءَ به من الحقِّ.

نفيُ الهدايةِ في المستقبَل والحالِ على ما صدرَ مِنهم مِن سوء المقَال

دلالةُ الفعلِ المُضارع ﴿يَهۡدِي﴾:

عبَّر النَّظمُ الكريمُ بالفعلِ المُضارع، في قولِه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ للدَّلالة على التَّجدُّدِ الاستمراريِّ لعدمِ الهدايةِ لهم، فلا أملَ لهم بالوصولِ إلى ما يُفضي إلى الهداية، ولا قابليَّةَ لهم لسَماعِ كلمةِ الإسلامِ والإيمانِ بها، فما نراهُ من صدودٍ ونسبةِ الكذبِ إلى الله ورسولِه صورةٌ من صورِ عدمِ الهداية، ونموذجٌ من نماذجِ الخُذلانِ لهم عن الرَّشاد.

تكذيبُ الظّالمين صورةٌ لعدمِ خَلْقِ الهدايةِ لهُم مِن ربِّ العالَمين

دلالةُ الإسنادِ في ﴿لَا يَهۡدِي﴾:

أسندَ النَّظمُ الكريمُ فعلَ عدمِ الهداية إلى الله تعالى، في قوله:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 189.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ "لأنَّ سَبَبَ انتفاءِ هَذا الهَدي عَنهُم أثَرٌ من آثارِ تكوينِ عُقولِهم ومَدارِكِهم على المُكابَرَةِ بأسبابِ التَّكوينِ، الَّتي أوْدَعَها اللّهُ في نِظامِ تَكَوُّنِ الكائناتِ وتَطَوُّرِها، مِنَ ارتباطِ المُسَبَّباتِ بأسبابِها، مَعَ التَّنْبيه على أنَّ اللّهَ لا يَتَدارَكُ أكْثَرَهُم بِعِنايَتِه، فَمُغَيِّرٌ فيهم بَعضَ القوى المانِعَةِ لَهُم مِنَ الهُدَى غَضَبًا عليهم؛ إذ لم يُخلِفوا بِدَعوةٍ تَستَحِقُّ التَّبَصُّرَ؛ بِسَبَبِ نِسبَتِها إلَى جانِبِ اللّه تَعالَى، حَتَّى يَتَمَيَّزَ لَهُمُ الصِّدْقُ مِنَ الكَذِبِ، والحَقُّ من الباطِل"[1].

الغضبُ الإلهيُّ مانِعٌ مِنَ الاهتداءِ القَلبيِّ

دلالةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿ٱلۡقَوۡمَ﴾:

عبَّر النَّظمُ الكريمُ عن المُشركينَ من أهلِ مكَّةَ وأهلِ الكتاب بلفظِ ﴿ٱلۡقَوۡمَ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ للدَّلالة على مَدى قوَّتِهم وقيامِهم، وشدَّةِ شَوكتِهم وحزمِهم، فقد اجتمعَتْ كلمتُهم، وتحزَّبَ رأيُهم حتّى صاروا قَوْمًا يقومونَ بالأمور المهمَّة، فلم يقُلِ النَّظمُ: (واللّهُ لا يَهدي الظّالمين)، بل ذكرَ موصوفَ الظّالمينَ للدَّلالةِ على شدَّةِ أمرِهم واجتماعِ كلمتِهم؛ لما في لفظِ ﴿ٱلۡقَوۡمَ﴾ من قَوامةٍ وسَيطرةٍ ونفاذِ رأيٍ، قال ابن عاشور: "فلا طَمَعَ في صَلاحِهم؛ لِتَمَكُّنِ الكُفْرِ منهُم حَتَّى خالَطَ سَجاياهُم، وتَقَوَّمَ مَعَ قَوميَّتِهم، ولِذَلِكَ أقْحَمَ لَفْظَ ﴿ٱلۡقَوۡمَ﴾؛ لِلدَّلالَةِ على أنَّ الظُّلْمَ بَلَغَ حَدَّ أنْ صارَ من مُقَوِّماتِ قَوميَّتِهم"[2].

التَّعبيرُ بالقَوْمِ دليلُ القوَّةِ والحَزْمِ

دلالةُ النَّعتِ بـ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

نعتَ النَّظمُ الكريمُ ﴿ٱلۡقَوۡمَ﴾ بلفظِ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ للدَّلالةِ على تعليلِ الحُكم بعدمِ الهِداية؛ إذ صدورُ الظُّلم منهم دالٌّ على علَّةِ عدمِ هدايتهم، كما

تعليقُ الحُكمِ بالمشتقِّ دالٌّ على عليَّةِ التَّحقُّق

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 189.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 189.

أفادَ النَّعتُ حصولَ الظُّلمِ فيهم على سبيلِ الثُّبوتِ والدَّوام، وتلك عِلَّةٌ أيضًا؛ لانتفاءِ الهدايةِ عنهم في الحالِ والاستقبال.

دلالةُ التَّعريفِ في ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

الحُكمُ الكلّيّ تذييلٌ طبيعيٌّ

عرَّفَ النَّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، في قولِه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ للدَّلالةِ على الاستغراقِ والشُّمول، فاللهُ تعالى لا يَهدي كلَّ ظالمٍ؛ بسببِ ظُلمِه بالافتراءِ على اللهِ الكذبَ، وهو يُدعى إلى الإسلام، فيكونُ التَّذييل دالًّا على حُكمٍ كلّيٍّ لا يتخلَّفُ مع كلِّ ظالم، وهو نتيجةٌ طبيعيَّةٌ لمن عكفَ على الظُّلمِ.

حَذْفُ متعلَّقِ اسمِ الفاعل ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

حـذْفُ مُتعلّقِ الظُّلمِ للدَّلالةِ على عمومِ اللَّوْم

حذفَ النَّظمُ الكريمُ مُتعلَّقَ اسمِ الفاعل ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، في قولِه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ ليُفيدَ العُمومَ والشُّمولَ؛ إذِ المَوْلى تعالى لا يَهدي مَن ظلمَ نفسَهُ، أوْ ظلمَ الحقَّ والإسلامَ، أوْ ظلمَ الأنبياءَ بالإساءةِ لهم بالتَّكذيب، فكانَ الحَذْفُ مفيدًا لعمومِ الظُّلمِ بعُموم متعلِّقِه، قال ابن عاشور: "لِأَنَّهُم ظلموا الرَّسول ﷺ بِنِسبَتِه إِلَى ما لَيسَ فيه؛ إذ قالوا: هو ساحِرٌ، وظَلَموا أنفُسَهُم؛ إذ لم يَتوخَّوا لَها النَّجاةَ، فَيَعْرِضوا دَعْوة الرَّسولِ ﷺ على النَّظَرِ الصَّحيح؛ حَتَّى يَعْلَموا صِدْقَهُ، وظَلَموا رَبَّهُم؛ إذ نَسَبوا ما جاءَهُم مِن هَديِه وحُجَجِ رَسوله ﷺ إِلَى ما لَيْسَ مِنهُ، فَسَمَّوُا الآياتِ والحُجَجَ سِحْرًا، وظَلَموا النّاسَ بِحملِهِم على التَّكْذيب، وظَلَموهُم بِإخْفاءِ الأخبارِ الَّتي جاءَت في التَّوْراةِ والإنجيلِ مُثْبِتَةً صِدْقَ رَسول الإسلام ﷺ"[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الكذبُ والافتراءُ:

الافـتـراءُ أخـصُّ مُـطـلـقًـا مـنَ الكذِبِ

الافتراءُ افتعالٌ من الفَرْيِ في الكلامِ الدّالِّ على الإحكامِ والقوَّة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 188.

فيه، وضبطٍ لهُ بكلِّ قصدٍ وعُمقٍ ودلالة، ثمَّ دلَّ بالزّيادةِ فيه على الاختلاقِ للكلام ونسبتِه للآخرين بكلِّ تعمُّدٍ وقوَّةٍ وإحكام، فكان ذلك الاختلاقُ وتلك النِّسبةُ لغيرِ مَن هو له، صورةً من صورِ الكذِب، الدّالِّ على عدمِ مُطابقةِ الكلامِ للواقع، ومن ثمَّ كانَ الافتراء أخصَّ مُطلقًا من الكذِب، وفرَّقَ الهرريُّ بينَهما باعتبارِ العلاقة ذاتها، فقال: "والفرقُ بينَ الكذب والافتراءِ: هو أنَّ الافتراء افتعالُ الكذِب من قولِ نفسِهِ، والكذبُ قد يكونُ على وجه التَّقليدِ للآخرين فيه"[1]، ومن ثمَّ آثَر النَّظمُ الكريمُ ذِكرَ الافتراءِ للكذب؛ ليكونَ الكذبُ على سبيلِ الاجتراحِ الذّاتيِّ الخارجِ عن التَّقليد، فيكونُ أشدَّ أنواعِ الكذبِ كذِبًا، وقيل: "مذهبُ الأكثريَّة القائلينَ بعمومِ إطلاقِ (الكذِب) على: العمْد والسَّهوِ ظاهرٌ؛ لأنَّ الكذبَ المُفترى هو العمْدُ، وغيرَ المُفترى هو السَّهْو"[2].

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 29/ 257.

(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/ 224.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والستون،
سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والستون، سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 61 ، 814 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-645-72-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 61 : المجلد الحادي والستون، سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-645-72-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6860354 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"